النكرة والمعرفة في باب الأفعال الناقصة

إذا وقع بعد كان وأخواتها نكرة ومعرفة؛ فالاسم يكون اسمًا لكان هو المعرفة - لأنه الأصل في الكلام -

ثم الملاحظ أن المبتدأ والخبر شيء واحد بخلاف الفعل العام

مثل: ضرب رجلٌ زيدًا. لأنهما شيئان مختلفان؛

وما ينطبق على كان ينطبق على المبتدأ والخبر، لأنك تسند الأفعال إليهما - ثم تذكر الخبر -

فتقول: زيدٌ حليم، وتقول: كان زيد حليمًا.

وتقول: كان حليمًا زيدٌ. فالمقصود هنا هو نفسه لما كان الاسم متقدمًا

فإذا قلت: كان زيدٌ. فقد ابتدأت بما هو معروف عنده مثله عندك، فإنما تنتظر الخبر، فإذا قلت: (حليمًا) فقد أعلمته مثل ما علمت،

فإذا قلت: كان حليمًا. فإنما تنتظر أن تعرفه صاحب الصفة، فهو مبدوء به في الفعل، وإن كان مؤخرًا في اللفظ.

فإن قلت: كان حليم، أو رجلٌ فقد بدأت بنكرة، فلا يستقيم أن تخبر المخاطب عن المنكور،

وقد تقول: كان زيد الطويل منطلقًا، إذا عرفت المتباسين الزيدين، وتقول: أيهما كان زيدٌ أم حليمًا؟

وإن جعلا "كان زيد" أم صيتا؟ جعلها لزيد، لأنه ينبغي للعالم
سأله عن خبره هو معروف عنده، كما حدثه عن خبره هو معروف
عنده، فالمعروف هو المبدوء به.

ولا يدريا ما يكونه فيه اللبس، وهو النكرة،
ولا يدريا ما يكونه به اللبس، وهو النكرة.

الآخر: أتعلم قلت: كان إنسان حليما، أو كان حليم منطلقا،
كنت تلبس، لأنه لا يستنكر أن يكون في الدنيا إنسان هكذا،
فكرهوا أن يبدوا ما فيه اللبس، وجعلوا المعرفة خبرا
ما يكون فيه هذا اللبس.

وقد يجوز في الشعر وفي ضعف من الكلام، حملهم على ذلك،
أنه جعل بمنزلة مضمر، أنه قد يعلم إذا ذكرت (زيدا)،
فعليه مثيرا أنه صاحب الصفة، على ضعف من الكلام،
كقول هذا من زهير

فأصبح الحي بعد حولهم ... أطبى كلهم أتاكم كهار.

وقال حسان بن ثابت:

كأن سبيئة من بيت رأس ... يكون مزاجها عسل وماء.

وقال ابن قيس بن الأسلت:

ألا من مبلغ حسان عني ... بأكذوبة تبوأ للمنام

وقال العجير السلولي:

فكان مجني دون من كنت أتقي ... ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

- إذا كان ما بعد الأفعال الناقصة نكرة فنحن مخيّرون في أن نجعل الأول (الاسم) مرفوعًا، ونصب الآخر، كما جاز ذلك في الفعل (ضرب) التام،

مثل: كان أخوك زيدًا.
كان زيدٌ صاحبك.
كان هذا زيدًا.
كان المتكلم أخاك.

ونقول في الاستفهام: من كان أخاك؟
ومن كان أخوك؟

كما نقول في الاستفهام مع الفعل التام:
من ضرب أباك؟ ومن ضرب أبوك؟

فنحن يجوز لنا أن نجعل (مَنْ) هي الفاعل كما في المثال الأول، أو أن نجعل (مَنْ) هي المفعول كما في المثال الثاني أمام الفعل (ضرب).

ونقول: أيُّهم كان أخاك؟
أيُّهم كان أخوك؟

ونقول في الاستثناء مع النفي (الحصر):

ما كان أخاك إلا زيدٌ
كما نقول ما ضرب أباك إلا زيدٌ
ونقول: ما ضرب أبوك إلا زيدًا.
وما كان أخوك إلا زيدًا.